

أصدقاء الثورة الجزائرية من الفرنسيين بين الواقع التاريخي والترويج السياسي

أ.د/- أحمد مريوش
المدرسة العليا للأساتذة
- بوزريعة - الجزائر

- الملخص:

عاجت خلال هذه الدراسة اشكالية كانت ولا تزال توظف من حين لآخر حول مدى مساهمة بعض النخب الفرنسية في تعاملهم مع الثورة التحريرية، وهل جاءت تلك المحاورات معزولة قامت بها بعض الافراد اليسارية التي ظل ترى في اليساريين الجزائريين حلفاء لهم حتى بعد تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري، وانفصاله عن اليسار الفرنسي؟ أم أن مواقف البعض منهم تجاه القضية الجزائرية وثورة التحرير كان عن قناعة نضالية تحريرية؟ كالتي قام بها فرانسيس جونسون وزوجته كوليت، وجان بول سارتر وأودان وهنري علاق وغيرهم ممن عبروا عن مواقفهم تجاه الثورة بوسائل مختلفة؟ أم ان فتح هذا الملف في كل مرة يوحي بأنه لدى فئة من الفرنسيين نية في توظيف تلك المواقف لخدمة أغراض سياسية محضة وايهام الجزائريين بضرورة فتح صفحات جديدة معهم، دون العودة للماضي الاستعماري الذي استغرق 132 سنة، وهم يؤرخون له بكونه مرحلة طبيعة في مسار حضارات الشعوب و تطورها، بل نجدهم سنوا قوانين خاصة بهم لا تجرم الاستعمار، وبالمقابل نجد الطرف الجزائري المشرع لم يرق بعد الى وضع قوانين تجرم الحركة الاستعمارية في الجزائر، بل ذهب الى أبعد من ذلك في السنوات الأخيرة وثنى كثيرا على بعضهم وظلم تاريخ الجزائر المعاصر، ومع ذلك علينا أن نترك الحكم للتاريخ الموضوعي.

- الكلمات المفتاحية:

الحركة الوطنية الجزائرية؛ الثورة؛ اليسار الفرنسي؛ الحزب الشيوعي الجزائري؛ الاستعمار؛ قانون تجريم الاستعمار؛ جونا؛ مورييس فيولت؛ فرانسيس جونسون؛ هنري علاق؛ جان بول سارتر؛ مؤتمر باندونغ.

- Résumé :

Au cours de cette étude, elle a traité de la nature problématique de la participation de certaines élites françaises à la guerre de libération, et de la question de savoir si ces discussions ont été isolées par des gauchistes qui considéraient toujours les gauchistes algériens comme leurs alliés même après la création du Parti communiste algérien. Et sa séparation de la gauche française ? Ou que la position de certains d'entre eux sur la question algérienne et la révolution de libération portait sur la conviction d'une lutte de libération ? Tels que ceux de Francis Johnson, de son épouse Collette, de Jean-Paul Sartre, et Audin, et 'Henry Aleg et d'autres qui ont exprimé leurs positions vis-à-vis de la révolution de différentes manières, ou que l'ouverture de ce dossier suggère à chaque fois qu'un groupe de Français a l'intention d'employer ces positions à des fins politiques Les Algériens doivent ouvrir de nouvelles pages avec eux, sans revenir au passé colonial qui a pris 132 ans, et le considèrent comme une étape de la nature dans l'évolution de la civilisation et du développement des peuples, mais ils ont constaté que leurs lois promulguées ne criminalisaient pas le colonialisme et, en revanche, le législateur du parti algérien n'avait pas encore vécu. Établir des lois criminalisant le mouvement colonial en L'Algérie, mais est allé encore plus loin ces dernières années et beaucoup d'entre elles sur l'injustice et l'injustice de l'histoire de l'Algérie moderne, et pourtant nous devons laisser le jugement de l'histoire.

- Les mots clés : Le Mouvement National Algérien, La Révolution, La Gauche Française, Le Parti Communiste Algérien, Colonialisme, La loi de la criminalisation du colonialisme, Gunnar, Maurice Viollet, Francis Jeanson, Henry Alleg, Jean Paul Sartre, Conférence de Bandoung

- تمهيد:

برزت في الآونة الأخيرة صيحات قديمة جديدة تقودها جهات رسمية وغير رسمية وكلها تتنادي بضرورة طي الماضي وفتح ورقة بيضاء لرسم معالم جديدة في العلاقات بيننا وبين غيرنا من الشعوب الأخرى وأعني هنا فرنسا بالذات، والغريب في الأمر أن تلك اللوبيات تعي جيدا طريق الوصول لتحقيق الأهداف على المستوى القريب حتى البعيد، ومن تم تركزت جهود هؤلاء على قضية جوهرية تمكنهم من تمرير ما يرغبون فيه من خلال ابراز بعض المواقف لرجالات فرنسية عبرت عن مواقفها تجاه الثورة، وهذا لا ينكره سوى جاحد، مع العلم أن قوة الثورة ونجاحاتها في الميدان هي التي عجلت بالكثير من هؤلاء الى التعاطف معها بما فيهم الكثير من الجزائريين الذين فضلوا ركوب موجة الثورة قبل فوات الأوان.

ومن دون شك أن الثورة الجزائرية قد كسبت العديد من الأنصار والمؤيدين والأتباع وقدموا لها مما كان لديهم من الدعم المادي والمعنوي، وأقصد هنا الدعم العربي والاسلامي بل وبعض دول أوروبا وخاصة الشرقية منها، وكذا بعض الدول الآسيوية، وحتى دول بأمريكا اللاتينية.

والظاهر أن أطروحة أصدقاء الثورة الجزائرية من بعض الفرنسيين قد روج لها أكثر مما تستحقه من الوجهة التاريخية، وأراد بها أصحابها توظيفها من الوجهة السياسية الحالية لا غير بغية المراهنة على ربح المعركة الاقتصادية في الضفة الجنوبية من البحر المتوسط، وتوظيف بعض الأسماء لتغيير النظرة التاريخية لفرنسا الاستعمارية، والفكرة ليست جديدة اليوم بل هي قديمة تعود الى بداية القرن العشرين، وظهور نخبة شبانية فرنسية معتدلة في التصور، وهي متأثرة بما يجري في الساحة الدولية وليست حبيسة مرجعية الفكر الكولونيالي الفرنسي، ولعل من بين هذه الأسماء نذكر ولز، وجونار، وكليمانصو، وبعدهم مورييس فيوليت، وكانت رؤية هذه الأسماء الجديدة للحركة الاستعمارية في الجزائر تختلف بعض الشيء عما كان لدى جيل القرن التاسع عشر⁽¹⁾.

وقد حاول البعض من جيل مرحلة الحكم العسكري تأليب الرأي العام الفرنسي ضد سياسة الشراكة التي طرحت مع الأهالي الجزائريين في منظور الحكم المدني الجديد، وكان ذلك بغرض توفير التهدئة كما شهدته مرحلة الحاكم العام جونا حتى سمي هذا الأخير بجونار المسلم، وموريس فيوليت الذي حكم الجزائر من بعده بموريس العرب⁽²⁾.

والحقيقة أن ظاهرة البحث عن التعايش ما هي سوى أطروحة جديدة هدفها استمالة البقطة والتحكم أكثر في رقاب الجزائريين بوسائل جديدة باطنية أكثر ما هي عسكرية، والدارس لسياسة فرنسا في تعاملها مع مطالب الجزائريين منذ نهاية الحرب العالمية الأولى يجدها تختلف تماما عما كانت عليه أبان الحكم العسكري بل أصبحت أكثر ليونة وفق ما تقتضيه المرحلة بعد ملامح الحراك الجمعي والتثاقف الفكري والسياسي وحتى الديني الذي أصبح ساري المفعول في الوسط الجزائري.

مما سبق ذكره نقول أن كل تغير في سياسة فرنسا تجاه الجزائريين كان إلزاميا ولم يكن إنسانيا، وما خرافة أصدقاء فرنسا سوى لعبة أراد بها أصحابها تبييض صورة ماضي الحركة الاستعمارية الفرنسية، وظهر ذلك جليا بعد ضغوطات اللوبي الفرنسي المتطرف وصدر قانون 23 فيفري 2005 الممجد للاستعمار⁽³⁾.

وهذا لا يعني من وجهة أخرى التنكر للجميل وإقصاء المواقف المشرفة للبعض من النخب الفرنسية المعتدلة والمحسوبة على اليسار الفرنسي في مجملها، ولا غرابة في أن نجد أن ميلاد نجم شمال إفريقيا وجد في فرنسا وكان قريبا من نشاطات الحزب الشيوعي الفرنسي والنقابة العمالية بباريس منذ منتصف العشرينيات، وقد استطاع النجم أن يستفيد من علاقاته مع اليساريين⁽⁴⁾، بل وصعود الجزائريين داخل اتحاد ما بين المستعمرات أمثال عبد العزيز منور و بورحلة والحاج علي عبد القادر وبانون آكلي وحموش، وبن سمان وسبتي عبد الرحمان وغيرهم من اليساريين الجزائريين الذين تألق نجمهم بعد ميلاد نجم شمال إفريقيا سنة 1926⁽⁵⁾.

كما أن جل تواريخ نشاطات الحركة الوطنية الجزائرية كانت تنتعش بالأساس بعد وصول اليسار الفرنسي إلى سدة الحكم بفرنسا، ثم ألم يكن أيضا نضال أصحاب التوجه الشيوعي من الجزائريين في وسط الحزب الشيوعي الفرنسي حتى مرحلة الانفصال سنة 1935 بمثابة رسكلة لهم، وقد أكسبتهم بعض المهارات النضالية والارتباط العضوي بالحزب الشيوعي الفرنسي وبقاء بعض الأسماء الفرنسية الشيوعية في قائمة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري، مما جعل الكثير ممن درسوا اليسار يرجحون بقاء تبعية اليسار الجزائري في ولائه وتبعيته للفرنسيين، وكان ذلك واضحا في دعمهم للحلفاء ضد هتلر، وقد حاول عمار أوزقان أن يبين للمسلمين بأن مصالحهم ما انفكت دائما ترتبط بمصالح العمال الفرنسيين (6).

ولعل الدارس للعلاقة التي كانت تربط بعض النخب الفرنسية بالقضية الجزائرية يجدها غير قارة وتربطها في الكثير من المرات مصالح واضحة، فبعد تطور مفاهيم حركات التحرر العالمية وبزوغ فكرة التحرر لدى النخب الشبابية في المستعمرات، ووصول بعد أبنائها إلى سدة التعليم حتى المرحلة الجامعية، تغيرت نظرة النخب الفرنسية في تعاملها مع الجيل الجزائري الجديد بعد تشكيل المجتمع المدني، وكان ذلك واضحا في ميلاد صداقة قوية بين بعض الطلبة الفرنسيين مع الطلبة الجزائريين الذين تشبعوا بشعارات الحرية و المساواة والبحث عن مطالب جديدة أكثر عمقا عما كانت عليه خلال القرن التاسع عشر، وكان ذلك واضحا مع نهاية العشرينيات وما بعدها (7).

ولعل علاقة بعض النخب الفرنسية المستعربة أمثال فيكتور سبيلمان، وودوارد قوسلان وبيار فونطانا مع الأمير خالد وفرحات عباس وحتى بعض الطلبة الجزائريين المتأخرين أمثال أحمد طالب الإبراهيمي الذي ربطته علاقات وطيدة مع زملائه بالجامعة وظل على ارتباطه معهم حتى وهو في السجن منهم فرانس فانون وألبير كامو، وبعضهم ممن ذكرهم في رسائله من السجن (8).

ومن دون شك أن القضية الجزائرية لم تكن بعيدة عن اهتمامات بعض النخب الفرنسية، وظهرت جليا في الكتابات الصحفية سواء بالمساندة والعطف أو بالرفض سواء من اليسار أو اليمين، ولكن الثورة التحريرية وما ترتب عنها من تغيير واضح في الأحداث هي التي شددت انتباه أكثر النخب الفرنسية، وفي حقيقة الأمر برزت بعض الأسماء الفرنسية المتعاطفة مع الثورة الجزائرية، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الثورة الجزائرية بما كانت تحمله من خصائص وقيم ثورية تحريرية هي التي جلبت إليها المدد والسند من الغير؟ أم أن مبادئ الغير هي التي عجلت بالثورة لاحتضانها للكثير من هؤلاء الأسماء المناضلة؟

ومن دون شك أن العلاقة جدلية بين الطرفين من حيث التأثير والتأثر، ولكن في اعتقادي أن قيم الثورة وضخامتها و تضحية رجالها كانت أقوى من غيرها، وكانت مثالا للتحرر العالمي مما جلب لها الكثير من المناضلين الفاعلين في العالم سواء في فرنسا أو في خارجها بآسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، والمتتبع لمسيرة الكثير من الولادات يجدها ازدادت عددا بعد النجاحات التي تحققت للثورة على أرض الميدان من الجانب العسكري وحتى السياسي، وأضحى للكثير من المشككين في الثورة مدى نجاحها وعدالة قضيتها، وتجدر شعبيتها، مما أكسبها قوة ودعما على المستويين الوطني والدولي منذ مؤتمر باندونغ 1955 بأندونيسيا، وما تلاه من انتصارات دبلوماسية على المستويين العربي والأجنبي، فبعد أربع سنوات من حرب ضروس أدى إلى تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة على أن جبهة التحرير تسير قدما و أنها بعيدة على أن تنكسر وفرض تأسيس الحكومة المؤقتة للعالم كله وجود الدولة الجزائرية بحسب ما ذكره سعد دحلب (9).

كل ذلك من دون شك جلب للقضية الجزائرية العديد من المتعاطفين معها من دعاة التحرر العالمي بما فيهم بعض الفرنسيين أمثال فرانسيس جونسون، وهو من مواليد بوردو الفرنسية سنة 1922، والحاصل على شهادة الليسانس في الفلسفة، والأستاذية من جامعة السوربون، وزوجته كوليت الكاتبة

والمختصة في علم النفس، وقد ساهم جونسون بالعديد من الكتابات الخادمة لثقافة التحرر والرافضة لسيطرة الاستعمار التقليدي، بما فيها كتاباته المنصفة للقضية الجزائرية.

والظاهر أن جونسون الثائر قد برزت أفكاره خلال الحرب العالمية الثانية ضد النازية الألمانية، وسجن أكثر من مرة في فرنسا، كما كانت له رؤية قريبة عن حالة الجزائريين المأساوية حينما كان ضمن جيوش شمال إفريقيا بالجزائر منذ 1943، إذ تولى مهمة المديرية العامة للعتاد بالجزائر العاصمة منذ جانفي 1944، ثم مسئول مخزن الذخيرة الحربية بوههران منذ خريف 1944، وفي صائفة 1945 سرح من الجندية ليعود الى نضاله التحرري، وكتب الكثير من المقالات في صحيفة فرانس أنتربول حول قضايا الأخلاق وفكر الفيلسوف الفرنسي سارتر وذلك اعتبره الكثير من الباحثين كونه من مريدي سارتر.

وبعد نهاية الحرب وانتصار الحلفاء عاد جونسون الى أرض الجزائر مع زوجته كوليت وذلك سنة 1948، وكانت الحركة السياسية الجزائرية وقتها تمر بمخاض عسير بعد صدور دستور الجزائر سنة 1947، ومحاولة الحركة الوطنية الخوض في تجربة الانتخابات بما فيها مشاركة حزب حركة الانتصارين، ومن دون شك أن جونسون لم يكن بعيدا عن كل ذلك بل يقال أنه تقرب أكثر من النخبة السياسية الجزائرية وبالأخص مع حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وعزز من علاقاته مع فرحات عباس وكذا أحمد بومنجل وغيرهما من النخب المعتدلة، كل ذلك مكنه أكثر من التعرف على الجزائر العميقة وما يعاني شعبها من سيطرة استبدادية كولونيالية مقيتة، ومن ذلك يمكن القول أن تجربة جونسون مع محيطه أصبحت كبيرة سواء خلال تواجده بفرنسا أو في الجزائر، وقد عبر عن ذلك الشعور العميق والإحساس تجاه الآخر الظالم والمظلوم بقوله: لقد استقبلت في سكنات فاخرة وسمعت منهم كلام في غاية الفضاضة، لقد بلغوا منتهى الغطرسة، واستحكمت العنصرية في قلوبهم، وإن سألتهم عن رأيهم في وجود الشعب الجزائري ردوا عليك بأن ذلك في نظرهم مجرد مزاعم باطلة" (10).

كل ذلك زاده قناعة في مسيرته النضالية بالكلمة والقلم لتتویر المد التحرري وفرض عنصرية الكولون، خصوصا بعد اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 ، والتي اتضحت مبادئها وأهدافها البعيدة والقريبة من خلال بيان أول نوفمبر، والظاهر أن فلسفة ومشروع الثورة الجزائرية لم يكن غائبا عن اهتمامات جونسون وأتباعه (11)، ولم يمض على الثورة سوى سنة واحدة حتى أصدر جونسون كتابا قيما بعنوان: "الجزائر خارجة عن القانون" الذي طبع سنة 1955، وكان صاحبه يتوخى من ذلك التصدي لما كانت سلطة الاحتلال تروج له من أكاذيب حول حقيقة وأبعاد الثورة الجزائرية، وأن من فجروها ما هم سوى فئة قليلة من الجزائريين الخارجين عن القانون، بل هم سوى شرذمة من قطاع الطرق وإرهابيون استهدفوا ضرب السلام والأمن والتشويش على الصالح العام (12).

ولكن من يتصفح محتوى الكتاب يكشف ان صاحبه كشف فيه عن عجز ادارة الاحتلال على تحقيق مشروعها المتمثل في الجزائر فرنسية، بل ذهب الى أبعد من ذلك وانتقد بشدة سياسة فرنسا الاجرامية في حق الجزائريين، ولعل تلك المواقف وغيرها زادت من تعاطف وتقرب اليسار الفرنسي مع قيادة الثورة الجزائرية.

ومن دون شك أن اصرار جونسون وصحبه على مساندة الثورة الجزائرية جلبت له الكثير من المضايقات الفرنسية بداخل فرنسا وخارجها، مما دفعه لتأسيس شبكته بغية التنظيم المحكم، ويعود تاريخها الى سنة 1956 بفضل العلاقة الوطيدة بينه وبين ممثل فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا المناضل صالح الونشي الذي كانت له سابق معرفة مع كوليت زوجة جونسون بالجزائر، وتمت اتصالات عديدة سرية بين جونسون وأتباعه أمثال بيار أولو، والصحفية مونيك ديزاكور، وزوجها، اضافة إلى أسماء أخرى من رجال الدين، ومع تطور الوقت وفي حدود سنة 1957 سميت الشبكة بحملة الحقائق، ومن جملة أعضائها البارزين نذكر: جاك بارتيللات، المقيم بسويسرا، والذي كان يشرف على تنظيم المجندين الفارين من الجيش الفرنسي، وكذلك الصحفية جون

ماري بوغهن المكلفة بمهمة تأمين الجنود المعارضين لحرب فرنسا في الجزائر، وكذلك داني براجي، وإتيان بولو أستاذ الفلسفة، وروبارنيو أستاذ التاريخ، وسيمون بلومان السياسي، والمناضل هيلان قينات أستاذ الأدب، وهنري كيريال و ميشال رابنس (13)، وغيرهم الكثير من المعجبين بالثورة الجزائرية، ويقال أن عدد الأفراد المنخرطين في شبكة جونسون بلغ قرابة 3000 مناضل (14).

وقد تنوعت خدمات شبكة جونسون بين الكتابات الصحفية والاعلامية إلى تعرية وكشف شبهات وظلم الاستعمار الفرنسي، إلى دعوة الفرنسيين الأحرار إلى إنقاذ فرنسا من ورطتها في حربها مع الجزائر، ومن مهام الشبكة أيضا توفير المساعدة للمهاجرين الجزائريين في التنقل عبر الحدود سواء إلى الجزائر أو باتجاه سويسرا على وجه الخصوص، كما تعدى نشاط الشبكة إلى جمع الأموال من التبرعات والاشتراكات وتهريبها لرصدها في البنوك بالخارج عبر ألمانيا وإسبانيا وسويسرا (15).

ومما لاشك فيه أن اسهامات الشبكة المتنوعة قد جعلها تتعرض إلى المتابعة والمضايقة من قبل الاستخبارات الفرنسية، واعتقل الكثير من أفرادها، كما سجن العديد منهم بكل من سجون الجزائر وفرنسا، وكل ذلك دفع من جديد بجونسون سنة 1960 إلى إصدار كتابه "حربنا"، ويعني به الصراع المعلن بينه وبين إدارة الاحتلال الفرنسي، وقد جاء الكتاب في وقته الزمني مما زاد من دعم للقضية الجزائرية وهي على طاولة المفاوضات.

كما برزت شخصية أخرى فرنسية من أصول مصرية كانت قريبة جدا من نضال جونسون، هذا فضلا على بصمات المناضلة سيمون دي بوفوار التي تولت رئاسة لجنة من أجل الدفاع عن المعتقلة الجزائرية جميلة بوباشا، وأطلقت صرخة الغضب وناصرت الثورة وعلقت على قوانين الجمهورية الفرنسية الغائبة وطالبت بالحرية للجميع المعتقلين (16)، ومن بين الشخصيات الأخرى نذكر أيضا جون بول سارتر الفيلسوف الفرنسي الذي جمعته علاقات كبيرة مع المناضلة دي بوفوار، وكانت مطالبه

واضحة المعالم عاشقا للحرية ورافضا للظلم والاستبداد، من خلال كتاباته المختلفة في الجرائد، حيث كتب خلال الخمسينيات " سجناء الطونا" لكي يبرز للرأي العام الجرائم الفرنسية الشنعاء المقترفة في حق الجزائريين⁽¹⁷⁾، ومن بين كتبه ايضا عارنا في الجزائر، وكانت صرخة سارتر الانسانية تجاه الثورة الجزائرية قد وجدت من يسمع إليها من المثقفين الفرنسيين، وبالأخص اليساريين منهم، ففي سبتمبر 1960 أقدم 121 مثقفا فرنسيا بإمضاء بيان رسمي فيما معناه أحقية الجزائريين في العصيان مع الرفض القاطع لحمل السلاح ضدهم مع دعم تصرفات الفرنسيين المتعاطفين مع الجزائريين الرافضين للنظام الاستعماري و ذلك مسعى كل أحرار العالم⁽¹⁸⁾، ومن دون شك أن بيان 121 وجد صدها بين أحرار العالم، وخدم عدالة الثورة التحريرية التي قدمت الكثير من الشهداء تحت المقصلة من دون محاكمة عادلة⁽¹⁹⁾.

ولكن مواقف سارتر بالمقابل أغضبت اليمين الفرنسي الذي استعمل وسائل مختلفة من خلال الصحافة والاعلام والقيام بالمسيرات ضدها، وهي حملة شعواء ضد جماعة البيان واعتبروا ناشطاتهم تمردا على مستقبل فرنسا، كما طالبوا برأس سارتر وجماعته، وبالأخص من غلاة المعمرين بالجزائر الذين شعروا بنهاية امتيازاتهم التي استغرقت أكثر من قرن. وكانت ردود فعل السلطة الفرنسية الرسمية الممثلة في اعلان الوزير الاول ميشال ديبري في 28 سبتمبر من نفس السنة بأن الحكومة سوف تتخذ اجراءات صارمة وقاسية جدا ضد الشبكات السرية الداعية الى العصيان والتمرد وعدم الامتثال لواجب الخدمة العسكرية، والتهرب منها، ومحاربة أعضاء البيان ومنعهم من النشاط الاعلامي والصحفي عبر الوسائل المختلفة مع المتابعة الفضائية لكل من تسول له نفسه للمساس بسمعة فرنسا⁽²⁰⁾.

ومن بين الفرنسيات أيضا نذكر جاكلين شكروم المناضلة في الحزب الشيوعي الجزائري والتي اعتقلت بمدينة وهران في سبتمبر 1955، وتعد أول سجين سياسية زج بها في سجن بربروس بالعاصمة، وعلى نفس المنوال أيضا ناضلت المناضلة: ران رافيني التي اعتقلت في مارس 1956، وهي زوجة أحد قداماء الأولوية الدولية ممن حكم عليهم بالإعدام خلال مرحلة حكم فيشي

لفرنسا، وقد سبق لزوج رافيني أن التحق بجيش التحرير الوطني بمنطقة الأوراس بالولاية التاريخية الأولى، بعد تمكنت الشرطة الفرنسية من اعتقاله، وقتله تحت التعذيب⁽²¹⁾.

كما كانت للمناضلة الفرنسية اليسارية جاكلين قروج هي الأخرى نشاطات معتبرة ومواقف نضالية مع الثورة الجزائرية، وكانت جنباً إلى جنب مع زوجها الذي كان يرأس مناضلي الحرية، وهي منظمة عسكرية تابعة أساساً للحزب الشيوعي الجزائري، والتي انضمت فيما بعد إلى جبهة التحرير الوطني، وقد اعتقلت شرطة الاحتلال جاكلين سنة 1955، وحكم عليها مع زوجها بالإعدام مما ولد عن ذلك حركة تحسيسية كبيرة في فرنسا أجبرت المحكمة الفرنسية على إطلاق سراحهما⁽²²⁾.

كما كان لبعض الأسماء من المحامين الفرنسيين مواقف عادلة تجاه المساجين والمحكوم عليهم بالإعدام، ومن بين هؤلاء الذين دافعوا عن عدالة مطالب جبهة التحرير وناصروا القضية الجزائرية المحامي المعروف: جاك فيرجيس المناضل الثائر الذي انضم إلى المقاومة الفرنسية، إلى جانب شارل ديغول لمقاتلة النازيين، وهو المنتسب بالثقافة القانونية من جامعة السوربون، وكان من ألمع الطلبة اليساريين الذين يناضلون من أجل تحرير شمال إفريقيا، وهو الذي دافع عن المناضلة جميلة بوحيرد السجينة، كما ألف مع صديقه جورج أرنو كتاباً حول المجاهدة بوحيرد، وبه الشيء الكثير عن أقوالها ضد التدليس البوليسي ضدها، ومما قالت أمام القاضي: " الحقيقة هي أنني أحب وطني، وأريد أن أراه حراً، لهذا أؤيد كفاح جبهة التحرير الوطني، وهذا وحده هو السبب الذي من أجله سوف تحكمون عليّ بالإعدام مثلاً قتلتم إخواني بن مهدي و بومنجل وزدور، و لكن لا تنسوا أنكم عندما تقتلوننا تقتلون شرف بلادكم وتقاليدنا التحررية، كما أنكم تكونون مستقبلها الذي تجعلونه في خطر، ولا تنسوا أيضاً أنكم لن تتمكنوا من منع الجزائر من استعادة حقها في الحرية إن شاء الله"⁽²³⁾.

وفي ذلك السياق تألفت جماعة ما يسمى: "بحملة الحقائق"، الذين ساهموا في خدمة الثورة الجزائرية، والظاهر أن الكتاب أقصى البعض ممن تعاطفوا مع الثورة الجزائرية، ولم يكن عادلا، إذ كرم بعضهم وغيب البعض الآخر، إذ كرم مورييس أودان، وهنري مايو، وفرنان، وغيرهم، ولم يكرم فرانسيس جونسون، وجاك فيرجيس، وهنري كويل، الذي قيل عنه أنه هو من أهدى منزله المتواجد بالقاهرة ليكون مقرا للسفارة الجزائرية، وحتى بريجيت باردو ملكة جمال فرنسا وقتها لم تعطى لها العناية هي الأخرى عما قامت به من مواقف، وهي التي رفضت بدورها التبرع بما لديها من أموال لمنظمة الجيش السري الفرنسي، وبحسب الكاتب والوزير السابق محي الدين بن عميمور والمستشار بالرئاسة أن الرئيس الراحل هواري بومدين استقبل أكثر من مرة بعض الأسماء المحسوبة على حملة الحقائق منهم: فرانسيس جونسون، و جورج مونتارون، وجان دانيال، وكانت هذه الزمرة دوما تدافع عن عظمة فرنسا (24).

ومن بين الصحفيين الفرنسيين أيضا الذين تعاطفوا مع الثورة الجزائرية جان ماري بوكلان والمناضل اليساري جورج ماتاي الذي ساهم في تأسيس المقاومة الشابة سنة 1956، والضابط الذي أقصى من الجيش روجي راي، والأستاذ مورييس أودان، والأستاذ أندري مندور الذي عرض نفسه وعائلته للخطر من أجل موافقه المناصرة للقضية الجزائرية، وعانى من اعتداءات مجرمي الجزائر الفرنسية وذاق سجن السجن بباريس سنة 1956، بعد مشاركته في مهرجان باريس لدعم المقاومة الجزائرية (25).

ومن المساهمين أيضا في كشف سياسة التعذيب الاستعمارية المادية والمعنوية، والتي تفننت فيها مع الجزائريين الذين جعلت منهم مخابر لتجاربها الاجرامية في الاستتطاق وفنون التعذيب الجسدي والنفسي، نذكر الصحفي الفرنسي اليساري هنري علاق الذي ارتبط اسمه بكتابه الاستتطاق، وهو الصحفي الذي عاش في الجزائر أكثر من ربع قرن، وارتبط وجوده بالمأساة الجزائرية التي كان يعيشها الشعب و كتب الشيء الكثير عما عاشه في جريدة الجزائر الجمهورية، واعتقل وعذب وأدخل السجن،

بسبب علاقاته مع الحزب الشيوعي الجزائري الذي تقرب كثيرا من جبهة التحرير منذ 1956. وقد أشار علاق في مقدمة كتابه مذكرات جزائرية الى مأساة السياسة الاستعمارية، وعن تجربة عاشها وتآلم من مخاطرها بقوله: "إنها جزء من التجربة التي عشتها مع رفاقي وزملائي في المعركة والذين بإمكانهم المساعدة على إدراك مدى تعقيدات الحقبة التي تمت معاشتها، فالصمت والحقائق المزيفة بخصوص تاريخ الاستعمار حرب التحرير مما تم تغذيته في فرنسا من جهة ومن جهة أخرى في الجزائر لمدة عقود جعل من الصعب الإدراك الموضوعي لهذه الفترة، كما يجب إبراز الجوانب المجيدة لهذه السنوات و الإشادة بها وبالأخوة المذهلة التي وحدث المحاربين المناضلين الجزائريين، وبالبطولة الخارقة لشعب بأكمله وبنسائه المثيرات للإعجاب اللواتي شكلن جبهة ضد القمع في شوارع المدن وفي الأرياف في الجبال وفي غرف التعذيب⁽²⁶⁾.

وهناك العديد من الشهادات الحية التي كتبها المتعاطفون مع القضية الجزائرية، بعد أن عايشوا جرم سلطة الاحتلال وكانوا يساهمون في ذلك الاجرام تحت ضغوط الأوامر، ومنها شهادة الضابط بريسون إيقون الذي درس في عناية وانخرط في السلك الأمني كضابط شرطة واشتغل بمدينة العلمة القريبة من سطيف منذ ماي 1953 حتى 1956، إلى أن أوقف بأمر من الجنرال دوفور، بعد أن حكمت عليه المحكمة العسكرية بخمس سنوات سجن بتهمة تعاونه مع الجزائريين، وقد كشف بنفسه عن جرم فرنسا الاستعمارية في تعاملها مع المناضلين والثوار وهم أصحاب قضية مشروعة، ومن ذلك قوله: "إنني فعلت هذه الأمور جميعها باعتباري جزائريا، ولا يخامرني الشعور بأنني قد خنت فرنسا، فأنا جزائري وككل جزائري قد قاتلت و ساستمر في مقاتلة النظام الاستعماري، فإن مكاني من حيث أنني مواطن جزائري واع، هو إلى جانب الوطنيين، وهذا عين ما فعلت⁽²⁷⁾.

وكان دوما الشعور بالذنب يعيش في ضمائر لكثير ممن عاشوا في الجزائر من النخب الفرنسية على مختلف شواربها، وبالأخص نخب مرحلة الأربعينيات والخمسينيات من طلبة، وصحافة، ومحامين، ومعلمين، وقد تواصلوا عن قرب مع مطالب الحركة الوطنية، وكذا الثورة الجزائرية، وكتبوا الشيء الكثير عن وجهات نظرهم حول تلك المراحل، وأبدى البعض منهم موقفه من عدالة القضية الجزائرية، وذلك ما نلاحظه في تقديم جوزيف كيسل، وهو صحفي فرنسي لكتاب حرب الجزائر لإيف كوريار، وقد عبر صراحة عن القادة التاريخيين الستة وأنهم ليسوا مجانيين بل وصفهم بالقادة الذين غيروا مجرى تاريخ الجزائر المعاصر، بعد أن كشف عن خصالهم الحميدة، وشجاعتهم في تحمل المسؤولية والتضحية (28).

وقد كتب هنري علاق عن العواطف النبيلة التي تحلى بها زميله كريستيان بيونو، هذا المعلم الذي تولى التدريس بمنطقة القبائل وألف كتاب بعنوان زيتونة مأكودة، وقد دخل كريسيان السجن من أجل افكاره التحررية، وكتب علاق تمهيد لكتابه زميله، ومما جاء في بعض فقراته: "تعرفت على كريستيان بيونو، وهو صاحب بصيرة ووعي، جمع بين الشجاعة والتواضع، و هي مناقب نادرة ولكنها من مقتضيات انتمائه إلى ما يسميه هو نفسه فئة النعال السوداء أي الأوروبيين الذين اختاروا أن يساندوا الجزائريين في كفاحهم في سبيل كرامتهم واستقلالهم مهما كانت النتائج، كريستيان وزوجته شارلي لم يكونا في حاجة إلى كثرة الاستفسارات كي ينخرطوا في هذا الطريق، فقد كان لهما ذلك بصورة طبيعية تماما مثلما كانا نزاعين نحو مهنة التدريس التي كانا يعشقانها، ليس لتعليم القراءة والكتابة للجزائريين فحسب، ولكن لتعليمهم كيف يصبحون رجالا ونساء أحرارا للجزائر الجديدة التي ستلد قريبا وقد عملوا ذلك عن قناعة، فيما أن هذا الكفاح كان عادلا، فلا يمكنهما أن يغيبا عنه، وهما يعيان تمام الوعي، أن النهاية قد تكون مأساوية كما حدث لموريس أودان شقيق شارلي" (29).

والحقيقة التي لا تعترف بها السلطة الفرنسية حتى اليوم تكمن في العدد الكبير والضخم للشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف تحت أساليبها الجهنمية، ففي دراسة صدرت سنة 2010 حول الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ذكر صاحبها أن عدد شهداء المقصلة خلال الثورة بلغ 222 شهيد⁽³⁰⁾، والعدد يفوق الرقم المذكور بكثير، لأن المدرسة التاريخية الفرنسية تسعى دوما لتبييض استعمارها في الجزائر.

ومن دون شك أننا من خلال هذه الاطلالة لا يمكننا أن نحصي كل الذين تعاطفوا مع الثورة الجزائرية التي كان يشوبها الكثير من العمل السري، وقد تكون هناك أسماء أخرى ثقيلة سوف يكشف عنا التاريخ لاحقا، وحينما أقول هذا الكلام فإن مرده لعاملين أساسيين فالأول سببه تهافت الكثير من الباحثين والدارسين اليوم وكذا بعض الصحفيين ونحوهم للقيام بتمجيد زمرة من الفرنسيين الذين تعاطفوا مع القضية الجزائرية، وهي فئة محدودة على الأصابع وجاءت مواقفهم في الكثير من الأحيان لحاجة في نفس يعقوب لتحقيق المآرب الفرنسية، وأما العامل الثاني يراد به ترسيخ مقولة: " الاستقلال الجزائري هبة من فرنسا وأن تعاطف اليسار الفرنسي كان سببا أساسيا في تحقيق الانتصار وحرية الجزائريين".

وكما يعلم الكثير أن هذه الأفكار ليست غريبة عنا حينما كنا طلبة في الثانويات ونحن نعيشها اليوم كأساتذة في الجامعات، ولكن القافلة تسير والكلاب تنبح، مع العلم أننا نحن من قصرنا في التوعية التاريخية، وتركنا فراغا رهيبا منذ وقت مبكر، ولم نبلغ عظمة الثورة وتضحيات رجالاتها إلى الجيل الجديد الغير محصن اليوم والمعرض لثقافة الشك والتشويش بسبب هذه الأكاذيب الغير مبررة من الوجه التاريخي.

وكان علينا أن نعالج حقيقة أصدقاء الثورة الجزائرية من الفرنسيين بالدراسات الأكاديمية المستفيضة لأهل الاختصاص حتى توضح جهود كل طرف فيما ساهم به من دعم مادي أو معنوي كان لخدمة للثورة، كما يجب علينا ان لا ننكر أيضا مواقف وجهود من ناصروا في قضيتنا من الفرنسيين خصوصا بعد أحداث 17 أكتوبر 1961، وما تعرض له المهاجرون الجزائريون

من تقتيل كريمهم أحياء في نهر السين من قبل السفاح بابون (31) من دون أن نهمش أو ننسى أيضا التعريف بالأسماء والشخصيات التي دعمت الثورة من دول كثيرة أخرى ، من دون التركيز على أسماء فرنسية دون الأخرى ولو كانت فرنسية هي أيضا حتى لا يقع إجحاف وهضم لأصدقاء الثورة الجزائرية.

والحقيقة أن من يتصور أن أصدقاء الثورة الجزائرية بالأمس هم فرنسيون لا غير، فهو خاطئ ، وهناك أسماء أخرى من دول صديقة ناصرت الثورة التحريرية المضفرة، وأما فرنسا الكولونيالية الاستعمارية ستبقى دوما مجرمة، ولو اعترفت بما اقترفته في حق الجزائريين في مدة قدرها 132 سنة من الدمار الشامل، كان آخرها تجاربها النووية في صحرائنا، وكان استقلالنا بفضل ضريبة باهظة قدرها مليون ونصف من الشهداء الأبرار ولم تترك لنا سوى الدمار والتركات الثقيلة على اصعدة متعددة نفسية وثقافية وبسيكولوجية واقتصادية واجتماعية وفكرية، وعلينا اليوم أن لا ننسى ذلك التاريخ، ولا نشوش عقول الأجيال بما هو مزيف، ومن رغب منا في فرنسا الاستعمارية اليوم فهو في حقيقة الأمر لم يكتو بنيرانها الجهنمية بالأمس ووقتها جاز له القول: "هبة الاستقلال كانت من فرنسا"، وأنه من الفرنسيين من كانوا أصدقاء للثورة، ويدرج مع الزمرة التي تطلق اسم الشهيد على موتى الفرنسيين كما قالت وزارتنا الوصية.

كما لا ننسى أنه يوجد البعض الآخر من القادة ورجال الفكر والثقافة والأطباء والصحفيين والاعلاميين من دعم الثورة من بلدان مختلفة، وبالمقابل لم يلق الرواج عنه إلى وقتنا هذا، ألم يقدم الباكستاني ظفر الله خان، والملك سعود، وجورج حبش، وأكرم الحوراني، خدمات جليلة للثورة الجزائرية، أم أننا نمجد من الفرنسيين من تعاطفوا مع الثورة دون غيرهم من باقي الاجناس الاخرى؟، وببساطة لأننا لم نتحرر بعد من بقايا أفكار فرنسا الاستعمارية. لا فرنسا الإخاء والمساواة والحرية.

والخلاصة: التي يمكن استنتاجها من هذه الدراسة أن التجارب الفرنسية مع المطالب الجزائرية لم يكن وليد الثورة التحريرية، بل كانت هناك بعض المواقف من اليسار الفرنسي في تعاطفه مع القضية الجزائرية بغرض خدمة المصالح الفرنسية بالدرجة الأولى، وقد عرفت الحركة الوطنية مآسي كبيرة خلال حكم اليسار كما هو الشأن إبان مجازر الثامن ماي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن أولوية المصلحة الفرنسية فوق أي اعتبار، كما أن تعاطف البعض من الفرنسيين مع الثورة التحريرية، وإشراك بعضهم في خدمتها بالقلم، والفكر، والنضال لا يمكن إغفاله أيضاً، وهناك العديد من الشخصيات التي ناضلت مع تحقيق العدل ونشر التحرر، وقد يفسر من الوجهة الإيجابية لهذا النوع من النخبة الفرنسية، وكانت أغليبتها من اليسار، من دون أن نقلل من نجاحات الثورة على أكثر من صعيد، في ظل بروز المد الشيوعي العالمي وظهور الصراع بين الشرق والغرب، وكل ذلك كسب للثورة المزيد من التعاطف من أحرار العالم وليس مع الفرنسيين فقط بل هناك شخصيات أخرى عالمية من أمريكا اللاتينية و آسيا و أفريقيا والعالم العربي والإسلامي، كل عبّر عن دعمه للقضية الجزائرية باعتبارها قضية تحرر وتصفية الاستعمار، وكان على الجزائريين اليوم أن يتصفوا بالعدل حينما يتذكرون من ساند ثورتهم في محنتها، ولا يركزون على الفرنسيين دون غيرهم .

- الإحالات المعتمدة:

- 1/ أبو القاسم سعد الله، (1992) الحركة الوطنية الجزائرية 1930/1900، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي بيروت، ص 257.
- 2/ أحمد مريوش، (2013)، محاضرات في تاريخ الجزائر 1954/1900، ج1، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر، ص 37.
- 3/ كلود ليوزو، جيل منصور، (2007) الاستعمار القانون والتاريخ، ترجمة بشير بلقرون، دار القصة الجزائر.
- 4/ مريوش، (2013) دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر، ص 368.

- 5/ كمال بوقصة، (2005) مصادر الوطنية الجزائرية، ترجمة ميشيل سطوف، دار القصة الجزائر، ص274.
- 6/ محفوظ قداش، (2010) تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، 1951/1939، ترجمة أحمد بن الباز، دار الأمة، الجزائر، ص936.
- 7/ مريوش، (2018) الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، ج1، ط2، دار قرطبة الجزائر، ص91.
- 8/ أحمد طالب الإبراهيمي، رسائل من السجن، تعريب الصادق مازيغ، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
- 9/ سعد دحلب، (2007) المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، مطبعة دحلب الجزائر، ص82.
- 10 / ماري بيارأولو، (2009) فرنسيس جونسون، الفيلسوف المناضل من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصة الجزائر، ص95.
- 11/ بركولي مولود، (2010) الشبكات الفرنسية المساندة لجهة التحرير الوطني، شبكة فرنسيس جونسون أنموذجا 1962/1957، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2، ص17.
- 12/ شرفي عاشور، قاموس الثورة الجزائرية، 1962/1954، ترجمة عالم مختار، دار القصة الجزائر، ص121.
- 13/Hervé Hamon ;Patrick Rotman (1979) ; les porteurs de valises la résistance Française à la guerre d'Algérie ; éd Albin Michel ; France.
- 14/ بن قدور مليكة، (2010) موقف المثقفين الفرنسيين من الثورة، رسالة ماجستير تاريخ، جامعة سيدي بلعباس، ص126. 15/ بركولي، المرجع السابق، ص34.
- 16/ خالفة معمري، (2014) جميلة بوباشا بطلة حرب التحرير التي لن ننساها، ترجمة عز الدين بوكحيل، ط1، منشورات ثالة الجزائر.
- 17/ عبد المجيد عمراني، (2007) جان بول سارتر و الثورة الجزائرية 1962/1954، ط1، دار الهدى، ص127.
- 18/ عمراني، المرجع السابق، ص132.

- 19/ لمعرفة الاسماء الموقعة على البيان راجع: Les porteurs de valises ; p 393
- 20/ طيبي مسعود، (2009) قراءة في كتابات جزائرية حول تنديد جون بول سارتر (1970/1905) بالجرائم الفرنسية في الجزائر، مجلة حوليات مخبر التاريخ والحضارة الجغرافيا التطبيقية، العدد3، ص 160.
- 21/ بلحسن بالي، (2014) المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1962/1954، ترجمة صاري علي حكمت، ط1، منشورات ثالة الجزائر، ص 35.
- 22/ بلحسن، المرجع السابق، ص 36.
- 23/ جورج آرنو وجاك فرجاس، (2013) دفاعا عن جميلة بوحيرد بطلة العرب في الجزائر، ط1، منشورات ثالة الجزائر، ص 70.
- 24/ محي الدين بن عميمور، حكاية حملة الحقايب، جريدة الشروق الموافق لـ: 15 جويلية 2017
- 25/ أندري مندوز ، (2007) الثورة الجزائرية عبر النصوص ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص5.
- 26/ هنري علاق، (2007) مذكرات جزائرية ذكريات الكفاح والآمال، ترجمة جناح مسعود وعبد السلام عزيزي، ط1، دار القصة للنشر الجزائر.
- 27/ فرانز فانون، (2008) العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر الجزائر، ص 197.
- 28/ عفرون محرز، (2010) مذكرات من وراء القبور، ج2، ط1، دار هومة الجزائر، ص235.
- 29/ كريستيان بينو ، (2012) زيتونة ماكودة جزائري من أصل فرنسي في قلب الثورة الجزائرية ، ترجمة العيد دوان ، ط1، دار التنوير الجزائر ، ص 11.
- 30 / معمري، المرجع السابق، ص29.
- 31/ Ali Haroun ;La 7é Wilaya la guerre du F.L.N. en France 1954/1962 ; éd casbah 2005.